كلمة هادئة في

الاستغاثة

للدكتور

عمر عبدا كامل

دار المصطفى
للطبع والنشر والتوزيع

الرقم المسلسل: 002
رقم الإيداع:

(سلسلة مفاهيم يجب أن تصحح)
العنوان: كلمة هادئة في الحياة البرزخية
المؤلف ومن في حكمه: د. عمر عبدالله كامل

تطلب إصداراتنا في جميع أنحاء العالم من
أوروبا:
P.O. Box: 2232 C E, Liden 2301
The Nether Lands
بلاد الشام: دار الرازي – عمان الأردن
جنوب شرق آسيا:
مصر: من جميع مكتبات الأزهر وسيدنا الحسين

الطبعة الأولى
1426هـ 2005م

تطلب جميع إصداراتنا من
دار المصطفى
للطبع والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي جعل محمدًا رحمة للعالمين، وأغاث برحمته عموم المخلوقين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب الكمال، خير من تُضرب له أكباد المطي وتشد إليه الرحال، وعلى آله وصحبه خير صحب وآل.

وبعد:

فهذه سلسلة **«مفاهيم يجب أن تصحح»** ، والتي فاز بقدم السبق فيها المرحوم السيد الأستاذ الدكتور **محمد علوي المالكي** رحمه الله، وجمعنا به في جنات النعيم.

وكم كان مصيبًا حينما نادى منذ أمد بعيد بتصحيح هذه المفاهيم، فالسكوت عن مجازفة البعض -والتي وصلت إلى حد التكفير والاتهام بالشرك بسبب المغالاة في هذه المفاهيم، وجَعْل بعضها من العقائد وهي من الفروع- أحدث كثيرًا من الفتن التي نحصد اليوم نتائجها.

والمفهوم الذي بين يدينا هو ثالث هذه المفاهيم، وهو مفهوم **«الاستغاثة»**.

بَينت في هذه الرسالة مشروعية هذا الأمر، ونقلت اتفاق علماء المسلمين عليه، مستندًا في كل ذلك إلى الكتاب والسنة، بما لا يدع مجالا للشك في مشروعية ذلك، ﴿ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾.

والله أرجو القبول والتوفيق إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

د. عمر عبدالله كامل

في ربيع الأول **1426هـ**

القاهرة- مصر

مفهوم الاستغاثة

الاستغاثة هي بمعنى طلب التوجه من المستغاث به إلى الله تعالى في قضاء الحاجة إذ ليس لأحد مع الله فعل أو ترك وإنما المستغاث به سبب للشفاعة والدعاء ولقضاء الحاجة.

والقرينة أن المستغيث من الموحدين ولا ينبغي إساءة الظن بهم.

وهذا لا يعد عبادة للمستغاث به وإنما استشفاع واستعانة وطلب مراد به طلب السعي والتسبب وراجع إلى التوسل بسعيهم المقدور لهم كسباً لا خلقا ولا إيجادًا فليس ذلك كفرًا صراحًا ولا شركًا جليًا وإنما هو راجع إلى جعل السعي الميسور للعبد وسيلة وسببا عاديا لخلق الله الفعل المسند إلى العبد ظاهرا.

وينبغي أن يتفطن إلى أن ما يطلق على الخالق والمخلوق من الصفات كالرأفة والرحمة والوجود والعلم والهداية والشفاعة في قوله تعالى: ﴿ قل لله الشفاعة جميعا ﴾[1] مع قوله ﷺ: «أعطيت الشفاعة»[2] لا يشتبه على

الواعي

فتطلق على الإله بما يناسب مقام الحق. وإذا وصف المخلوق بشيء منها فيكون متصفًا بما يناسب البشرية محدودة ومخلوقة ومكتسبة بإذن الله وفضله وإرادته لا بقوة المخلوق أو تدبيره أو أمره وإنما منّ الله بها على المخلوق قوة وضعفا على ما شاء الله وأراد فلا يرفع المخلوق وصفه بها إلى مقام الألوهية ولا تكون نسبتها إليه شركا.

ومن هذا الباب ما جاء في الأحاديث من الحث على تفريج كربة المؤمن والتيسير على المعسر وإعانة المستعين حيث أن الكل موقن بأن المفرج والمعين والميسر هو الله تعالى وأن العبد ليس إلا سبب في ذلك.

ومن هذا الباب ما وصف حسان به رسول الله ﷺ بقوله:

يا ركن معتمد وعصمة لائذ   وملاذ منتجع وجار مجاور

فوصفه لرسول الله ﷺ بأنه ركن المعتمدين وعصمة اللائذين وملاذ القاصدين وجار المستجيرين لم يكن يقصد به أنه ﷺ يشارك الباري في تلك الصفات بل هي لله بالأصالة وعلى الحقيقة وأن رسول الله ﷺ هو سبب فيها من باب الإسناد المجازي.

---

(1) (الزمر 44)

(2) جزء من حديث أوله « أعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي ... » الحديث متفق عليه البخاري (ح335) مسلم (ح521).

وينبغي أن يتفطن أيضًا إلى ألفاظ قد تصدر من الناس كقولهم ليس لي ملاذ سوى النبي ولا رجاء إلا هو وقولهم إليه يفزع في المصائب وقولهم إن توقفت فمن أسأل، فلا ينبغي أن يسارع إلى تكفير الناس بسببها إذ:

أولاً: ليس المقصود بهذه الألفاظ المقارنة بين رسول الله ﷺ وبين ربه بل هي مقارنة بين الخلق بمعنى أنه ليس في الخلق من هو أولى من رسول الله ﷺ بأن يلاذ به ويلجأ إليه ويفزع إليه عند الشدائد ليقوم بالتوسل عند ربه في كشفها مثل ما يكون عليه الحال في يوم الهول العظيم حيث لا يجد الأنبياء والخلائق ملجأ إلا في رسول الله ﷺ يشفع لهم في كشف كربهم حيث يقول: «أنا لها» ويشفع.

ثانيًا: ليس في المسلمين إطلاقا من يعتقد لأحد فعلا أو تركًا أو رزقًا أو نصرًا أو أحياءً أو إماتةً فحسن الظن بهم- وهو ما أُمرنا به- حمل مثل تلك الألفاظ على المجاز العقلي من إسناد الشيء إلى سببه لأن اعتقاد المسلم أن الملجأ والملاذ والمفزع والمدد كله لله خلقا وإيجادا أصالة وما نسبتها إلى المخلوق ممن أكرمه الله بحصولها على يده إلا لأنه هو المتسبب فيها بدعائه لربه وشفاعته عنده.

فليس معنى طلب شيء من المستغاث به عند المسلم إلا الطلب منه بأن يسأل الله تعالى ويشفع عنده بقضاء الحاجة.

وحمل هذه الألفاظ على حقائقها دون اعتبار لقرينة توحيده هو ظلم كبير وخطأ فاحش.

وقوله تعالى: ﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾[3]. شامل لدعاء الشخص نفسه

ولدعاء المستغاث به وكل من الاستغاثة والتوسل ليس فيهما دعاء غير الله بما اختص به وحتى حين يطلب المستغيث أو المتوسل قضاء الحاجة من المستغاث به مباشرة لا يريد الموحد منه إلا أن يسعى في قضاء حاجته بالطرق المقدورة له عند من بيده الأمر فهو في حقيقته استشفاع لطلب السعي بالتسبب العادي في إجابة الدعاء وقضاء الحاجة ومن رأى من علمائنا الأعاظم من المحققين البعد عن إسناد الطلب إلى العبد فلم يدّع أن ذلك شرك أو كفر وإنما رأى الابتعاد عما يوهم أن للنبي أو الولي شيئا من صفات الألوهية كأن يكون الدعاء مثلا لطلب مثل غفران الذنوب أو إدخال الجنة أو النجاة من النار أو إنزال المطر ومثل ذلك مما هو من خصائص الربوبية.

وظاهر أن النظر إلى الأسباب والأخذ بها غير الاعتماد عليها فإن الاعتماد على السبب هو الركون إليه مع الغفلة عن الفاعل المختار.

---

[3] سورة غافر، الآية:60

فمما ورد من قوله تعالى: ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾[4] وقوله ﷺ «وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله»[5] وقوله «إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله»[6] وأمثال ذلك فإنه **إرشاد إلى عدم الغفلة عن الفاعل المختار** وليس مرادًا أن لا يطلبها العبد إلا من الله لأن طلبها من العباد لتحصيل أفعال الله هو من اتخاذ الأسباب المشروعة وترتيب الأسباب على مسبباتها فدعاء الله مجردا من الوسائل ودعاؤه مقرونا بها كلاهما مشروع وهي من الله في كل الأحوال خلق الفعل في العبد ومن العباد التسبب فيها.

فالمثبت في الاستغاثة والإعانة والاستعانة لله تعالى هو الخلق والإيجاد والمثبت للعبد هو التسبب في ذلك بالدعاء والشفاعة أو غيرهما لدى من بيده الأمر كله.

والصحابة حين كانوا يستغيثون برسول الله ﷺ أو يطلبون منه الشفاعة أو يشكون حالهم إليه من فقر ومرض وعاهة وبلاء وجدب كانوا يعلمون أنه ﷺ لا يفعل ذلك بقوته وإنما هو عبد لله له مقامه ووجاهته وكرامته عنده وأنه مجرد سبب من أسباب الإجابة لقضاء حوائجهم فلا يعنون من الطلب إلا وساطته عند ربه بالتوجه إليه ليدعو ويشفع.

ومع ذلك كان موقف رسول الله ﷺ مع السائلين تارة الاستجابة لطلبهم وتارة يخيرهم بين الصبر وكشف البلاء كما أخبر الأعمى والمرأة التي تصرع وقتادة الذي أصيبت عيناه وتارة يقول لهم «إنما يستغاث بالله» ويقول للسائل تارة «إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله» وتارة يقول «السيد الله»[7] ومرة يقول «أنا سيد ولد آدم»[8].

وواضح من اختلاف أجوبته للسائلين أنه كان يراعي حالة السائل حين يسأله فيجيبه بما يقضي به رسوخ الاعتقاد في قلبه وعدم الغفلة عن الفاعل المختار وسد باب الاتكال على سواه وليس مراداً أن لا يطلب ذلك إلا من الله.

ومما يدل على أنه ليس القصد أن لا يطلب العبد ذلك إلا من الله منعه ﷺ لمن قالوا: قوموا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق فقال لهم «إنما يستغاث بالله ولا يستغاث بي»[9] في الوقت الذي لا يجهل أحد أن الاستغاثة بالحي في مثل ما طلبوه غير ممنوعة وهو ردع المنافق الذي تأذوا منه

---

[4] الفاتحة:5
[5] جزء من حديث [2516] سنن الترمذي .
[6] الحافظ الهيثمي مجمع الزوائد 159/10.
[7] سنن أبو داود ح [4806] ، مسند أحمد [25-24/4].
[8] سنن الترمذي ح [3615]ن وهو عند مسلم [2278] عن أبي هريرة..
[9] مجمع الزوائد [159/10].

وقد قال تعالى: ﴿ فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه ﴾ [10]

وإنـه لا يغيـب عن فهـم المـؤمن أن الـصحابة حـين كـانوا يـستغيثون برسول الله ﷺ أو يطلبون منه أمرًا أو يـشكون إليـه حـالهم أن رسـول الله ﷺ حين كانوا يجيبهم على ما طلبوه من حاجات لم يقل لهم أن الأمـر لا يحتـاج إلى وسيلة واشكوا حـالكم إلـى الله تعـالى لأنـه قريب مجيب لا حجـاب بينـه وبين خلقه فتوجهوا إليه بالطلب رأسا لأنه من المعلوم أنه وإن كـان المدعو أقرب فإن العبرة في قبول الدعاء إنمـا هو بأقربيـة الداعي كما قـال تعـالى ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [11] .

---

[10] سورة القصص الآية: 15.

[11] المائدة: من الآية27.

أدلة الاستغاثة من الكتاب والسنة

أولا: الأدلة من الكتاب:

1- قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ الآية..[12].
إذ تطلبون منه النفع لأنه مالك النفع والضر وحده فهو النافع الضار على الحقيقة ابتداء واستقلالا وهو مجيب الدعوات وقاضي الحاجات ومستجيب الدعوات ويتقبل شفاعة الشافعين بإذنه وإذا رضي لمن يشاء من عباده وفيمن يشاء تفضلًا ومر ما على الداعي والمتوسل فلا يجب عليه شيء ولا يلزمه شيء.

2- قال تعالى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ﴾ [13].
فاستغاث به الذي هو من شيعته به ومن هنا يعلم أن الاستغاثة بالمخلوقات هي طلب الغوث فيما يقدر عليه، ومنه الدعاء والتوسل في قضاء الحوائج من الأنبياء والصالحين.

فيعلم من هذا أن الاستغاثة إذا أطلقت على المخلوق فهي من قبيل الاشتراك اللفظي والمجاز وكل المؤمنين يعلمون أن المغيث هو الله وما النبي أو الولي إلا من قبيل التسبب.

ثانيا: الأدلة من السنة:

1- روى البخاري في صحيحه: « أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينا هم كذلك استغاثوا بآدم، ثم بموسي، ثم بمحمد، فيشفع ليقضى بين الخلق .... » [14].
قلت: وهذا يؤيد ما جاء في الآية الكريمة وأن الاستغاثة بالمخلوقات ليست عبادة وإلا لما جرأ أحد على عبادة غير الله في ذلك المحشر العظيم وبمحضر من الأنبياء بل ومن رب العزة.

---

[12] الأنفال: من الآية9.
[13] القصص: من الآية15.
[14] صحيح البخاري ج 1475 (536/2).

2- روى البخاري في صحيحه من كتاب الاستسقاء عن أنس بن مالك: « أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله ﷺ يخطب فاستقبل رسول الله ﷺ قائما فقال: يا رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السبل فأدع الله يغيثنا -أي يمطرنا- قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: اللهم اسقنا، اللهم أسقنا، اللهم اسقنا.

قال أنس ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيئا وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار قال: فطلعت من وراءه سحابة مثل الترس ثم انتشرت، ثم أمطرت... »[15].

3- عن عثمان بن حنيف قال في رواية الترمذي:

أن ضريرا أتى النبي ﷺ فقال: أدع الله أن يعافيني قال: إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت، قال: فادعه، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء «اللهم أني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه في » [16].

وفي رواية ابن ماجة: أنه أمره بصلاة ركعتين بعد الوضوء وقال في آخره: «يا محمد إني قد توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه ... »[17] الحديث قال في تحفة الأحوذي وزاد النسائي في آخره: «فرجع وقد كشف الله عن بصره»[18] وفي رواية الطبراني قال ابن حنيف: «فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأن لم يكن به ضر قط»[19].

وروى الطبراني في معجمه « أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له وكان عثمان رضي الله عنه لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته فلقى الرجل عثمان بن حنيف فشكى ذلك إليه فقال عثمان بن حنيف: أئت الميضأة فتوضأ ثم أئت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل «اللهم أني أسألك ... إلخ الدعاء ... وأذكر حاجتك فانطلق الرجل فصنع ما قاله له ثم أتى باب عثمان فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان رضي الله عنه فأجلسه معه على الطنفسة وقضى حاجته»[20].

4- روى الطبراني وأبو يعلى في مسنده وابن السني في عمل اليوم

([15]) صحيح البخاري (1013، 1016، 1017، 1019).

([16]) الترمذي ح 3578 (569/5).

([17]) سنن ابن ماجة (1385).

([18]) النسائي ح 10495 (169/6).

([19]) المعجم الكبير الطبراني ح 8311 (30/9).

([20]) الطبراني في الصغير (306/1) والكبير (30/9)

والليلة عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله احبسوا عليّ، يا عباد الله احبسوا عليّ، فإن لله في الأرض حاضرا سيحبسه عليكم».

وفي رواية أخرى لهذا الحديث: «إذا ضل أحدكم شيئا، أو أراد أحدكم غوثا، وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل: « يا عباد الله اغيثوني يا عباد الله اغيثوني، فإن لله عبادا لا نراهم»[21].

رواها الطبراني في الكبير وقال بعد ذلك: وقد جُرب ذلك.

ورواه البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا بلفظ:

«إن لله ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر فإذا أصابت أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله أعينوني» وحديث البزار هذا حسنه الحافظ ابن حجر العسقلاني في أمالي الأذكار[22].

وقال الحافظ الهيثمي عنه في المجمع رجاله ثقات[23].

قلت: وفي هذا الحديث يتكرر الإذن بالإستغاثة بالمخلوقات مع أن الاستغاثة بهم من قبيل المجاز وطلب العون فيما يقدرون عليه والله هو الذي أقدرهم عليه وليس من الشرك في شيء.

5- قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري [24] :

أخرج قصة عاد الثانية أحمد بإسناد حسن عن الحارث بن حسان البكري قال: «خرجت أنا والعلاء بن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ .... الحديث – وفيه- فقلت: أعوذ بالله وبرسوله أن أكون كوافد عاد، قال وما وافد عاد؟ وهو أعلم بالحديث ولكنه يستطعمه ... »[25].

قلت وهذه الاستعاذة وردت صريحة بالرسول ولأن رسول الله ﷺ يعلم أن هذا الصحابي يعلم الفرق بين الألفاظ إذا أطلقت في حق المولى سبحانه وتعالى وإذا أطلقت في حق المخلوقات فهي من الله ابتداء واستقلالا ونفعا وضرا ومن العبيد والخلق تسببًا.

6- أخرج أبو يعلى الموصلي في مسنده [26]عن أبي هريرة رضي الله عنه **«**قال:

---

[21] الطبراني ح 10518 (217/10)، وأبو يعلي ح 5269 (177/9).
[22] شرح ابن علان على الأذكار (151/5).
[23] مجمع الزوائد للهيثمي (132/10).
[24] فتح الباري (578-579/8).
[25] مسند أحمد ح (15996) (482/3).
[26] مسند أبي يعلى ح (6584) (462/11)

سمعت رسول الله ﷺ يقول والذي نفس أبي القاسم بيده لينـزلن عيسى بن مـريم إمامـا مقسطا وحكمـا عـدلا فليكسرن الـصليب وليقتلن الخنـزير وليصلحن ذات البين وليذهبن الشحناء وليعرضن عليه المال فلا يقبله، ثم لئن قام على قبري فقال: يا محمد لأجبته».

وأخرجه الحاكم في المستدرك وفيه «... وليأتين قبري حتى يسلم علي ولأردن عليه»[27].

وهذا الحديث فيه دلالتان:

الأولى: فضيلة زيارة قبر الرسول ﷺ .

الثانية: جواز النداء للرسول ﷺ بعد وفاته.

٧- أخرج البخاري في صحيحه في كتاب (أحاديث الأنبياء)[28]من قصة سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وعن أم إسماعيل وهي تبحث له عن الماء ثم قالت: «لو ذهبت فنظرت ما فعل، فإذا هي بصوت فقالت: أغث إن كان عندك خيرٌ، فإذا جبريل...» الحديث. ففي هذا الحديث استغاثت بمن لا تراه ثم ظهر لها الملك.

---

[27] المستدرك (651/2)

[28] البخاري، ح(3365)

الاستغاثة من فعل الصحابة وأقوالهم رضي الله عنهم

1- استسقاء الصحابة برسول الله ﷺ بعد وفاته.

روى ابن أبي شيبة والبيهقي بسند صحيح ورواه – في دلائل النبوة البيهقي بسنده إلى الأعمش عن أبي صالح عن مالك الدار وكان خازن عمر قال: «أصاب الناس قحط في زمن عمر ﵁ فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فأتاه رسول الله ﷺ في المنام فقال: ائت عمر فأقرئه مني السلام وأخبره أنهم مسقون وقل له عليك الكيس. قال فأتى الرجل عمر فأخبره فبكى عمر ﵁ وقال: يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه.

فهذا الرجل جاء إلى رسول الله ﷺ بعد وفاته وطلب منه الاستسقاء لأمته فلو كان الطلب منه بعد انتقاله محرما لما رأى رسول الله ﷺ ولم يلمه عمر ولا أحد من الصحابة على فعله بل صدق رؤيته واستسقى بالمسلمين[29].

2- ومما قاله حسان بن ثابت في وصف رسول الله ﷺ:

يَا رُكنَ مُعتَمِدٍ وَعِصْمَةَ لائِذٍ   وملاذَ مُنتجعٍ وَجَارَ مُجَاورِ

وروى ابن هشام في السيرة: وقال من حديث زيادة بن طارق الجشمي قال حدثني أبو جرول الجشمي وكان رئيس قومه قال أسرَنا النبيُّ ﷺ يوم حنين فبينما هو يميز الرجال من النساء إذ وثَبتُ فوقفت بين يديه وأنشدته:

امْنُنْ عَلَيْنَا رَسُولَ اللهِ فِي حَرَمٍ   فَإنَّكَ المَرءُ نَرجُوهُ وَنَنْتَظِـ
امنُن عَلَى نِسوَةٍ قَد كنتَ ترضعُهَا   يَا أرجَحَ النَّاسِ حِلماً حِينَ يُختَبَـ

3- وقال عمرو بن سالم الخزاعي عندما نقضت قريش عهد الحديبية:

يَا رَبِّ إنِّي نَاشِدٌ مُحَمَّدَا   حِلفَ أبينا وَأبِيهِ الأتلَـا
قد كُنتَ وَالِداً وَكُنَّا وَلَدَا   وَزَعَمُوا أنْ لَستُ أدْعُو أحَـا
وَهُم أذَلُّ وَأَقَلُّ عَدَدَا   هُمْ بَيَّتُونَا بِالوَتِيْرِ هُجَّـا
وَقَتَلُونَا رُكَّعاً وَسُجَّدَا   فَانْصُرْ هَدَاكَ اللهُ نَصْراً أبَـا
وَأدعُ عِبَادَ اللهِ يَأْتُوا مَدَدَا   فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ قَدْ تَجَرَّ

وانظر إلى قوله وأدع عباد الله... فهي استغاثة صريحة لطلب المدد من عباد الله.

قال ابن هشام: فقال رسول الله ﷺ نصرت يا عمرو بن سالم.

---

[29] صحح هذا الحديث إلى مالك الدار الحافظ ابن حجر في فتح الباري وأقر ابن تيمية بثبوته في اقتضاء الصراط المستقيم (ص373)، ورواه ابن أبي شيبة (356/6).

4- في المواهب اللدنية عن أنس بن مالك ﷺ من رواية البيهقي قال:
جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أتيناك ومالنا صبي يغط ولا بعير يئط.

أَتَيْنَـــاكَ وَالعَــــذْرَاءُ يُـــدمى لبَابُهَـــا وَقَـدْ شُـغِلَتْ أُمُّ الـصَّبِيِّ عَـنِ الطِّفْـ
وألقَـــى بِكَفَّيْـــهِ الفَتَـــى لاسْـــتِكَانَةٍ مِنَ الْجُوعِ ضعفْاً مَا يَمُرُّ وَلا يحلِـ
ولا شَـــيْءَ مِمَّـــا يَأْكُــلُ النَّـــاسُ عِنْـدَنَا سِوَى الْحَنْظَلِ العَامِيِّ وَالعِلْهِزَ الفَسْـ
ولَـــــيْسَ لَنَـــــا إلا إِلَيْـــــكَ فِرَارُنَـــــا وَأَيْـنَ فِـرَارُ النَّـاسِ إلا إِلَـى الرُّسْـ

قلت: وقوله هنا أين فرار الناس إلا إلى الرسل من قبيل المجاز وطلب الدعاء والشفاعة لأن الفرار الحقيقي لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى ولم يلمه رسول الله على هذا القول أو يطلب منه الاستغفار مما يعني أنها جائزة شرعا مع إدراك الفرق بين الحقيقة والمجاز.

فقام ﷺ يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه إلى السماء ثم قال: اللهم أسقنا غيثا مريعا غدقا طبقا نافعا غير ضار عاجلا غير رائث تملأ به الضرع ... فضحك ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال: لله در أبي طالب لو كان حيا لقرت عيناه، مَن ينشدنا قوله؟ فقال علي يا رسول الله كأنك تريد قوله:

وأبـــيَضُ يُسْتَـــسْقَى الغَمَــامُ بوَجْهِــهِ ثِمَــالُ اليَتَــامَى عِــصمَةٌ لِلأَرَامِـ
تُطِيــفُ بِــهِ الْهُــلاَّكُ مِــنْ آلِ هَاشِــمٍ فَهُــم عِنْــدَهُ فِــي نِعْمَــةٍ وَفَوَاضِـ

وهنا استغاثة بوجه رسول الله ﷺ والوجه تارة يأتي بمعنى الذات ومرة بمعنى الجاه.

5- ذكر في أسد الغابة أن الحارث بن عوف المري قدم على رسول الله ﷺ فأرسل وبعث معه رجلا من الأنصار إلى قومه فقتلوه فقال حسان ﷺ:

يَــا جَــارَ مَــن يغْــدرْ بِذِمَّــةِ جَــارِهِ مِــنْكُم فَــإِنَّ مُحَمَّــداً لا يغــ
وأمَانَـــةُ المـــرِي مَـــا اسْـــتَودَعْتَهُ مثـلُ الزُّجَاجَـةِ صـدْعُهَا لا يُجْبَـ

فجعل الحارث يعتذر ويقول **أنا بالله وبك يا رسول الله** من شر ابن الفريعة فوالله لو مزج البحر بشره لمزجه فقال النبي ﷺ : **«دعه يا حسان قال قد تركته».**

وهاهنا نرى أن هذا الصحابي قال: إنا بالله وبك يارسول الله بواو العطف ومعناها مستجير بالله وبك.

6- قال مازن بن الغضوبة الطائي حينما قدم على رسول الله ﷺ مسلما كما في أسد الغابة:

إِلَيْـــكَ رَسُـــولَ اللهِ خَبَّـــتْ مَطِيَّتِـــي تَجُوبُ الفَيَافِي مِنْ عُمَانَ إِلَـى العَرْ

لتَشفَعَ لـي يَـا خَيْرَ مَنْ وَطِـئَ الحَصَى   فَيَغْفَــرَ لِــي رَبِّــي فَــأَرْجِعَ بِــالفَلْجِ

7- **وذكر الطبري في تاريخه أحداث معركة اليمامة** وفيها أن خالد بن الوليد: « ... وقف بين الصفين ودعا للبراز وقال أنا ابن الوليد العود أنا ابن عامر وزيد ثم نادى بشعار المسلمين وكان شعارهم يومئذ: يا محمداه وجعل لا يبرز له أحد إلا قتله ... » أ.هـ.

وهذه بقية الأنصار والمهاجرين حينما رأوا أن اختلاط القبائل بهم أوهن من عزائمهم أمرهم خالد بن الوليد أن يتميزوا فكان هو على كتيبة المهاجرين والأنصار وكان لكل قبيلة شعارها وكان شعار المهاجرين والأنصار وامحمداه أو يا محمداه.

وهي نداء وإستغاثة بطلب يقدر عليه رسول الله ﷺ وهو الدعاء بالنصر ولم يعتبروا أن هذا شركا لأنهم يعلمون تماما أن المغيث الحقيقي هو الله، ورسول الله ﷺ هو المتسبب بالدعاء.

الاستغاثة عند علماء الأمة

ومما ينسب إلى الإمام أبي حنيفة النعمان ﷺ المتوفى سنة 150هـ:

يَـا مَـالِكِي كُـنْ شَـافِعِيْ فِـي فَـاقَتِي ... إِنِّـي فَقِيْـرٌ فِـي الْـوَرَى لِغِنَاكَـا
يَـا أَكْـرَمَ الثَّقَلَـيْنِ يَـا كَنْـزَ الغِنَـى ... جُـدْ لِـي بِجُـودِكَ وَارْضِـنِي بِرِضَـاكَا
أَنَـا طَـامِعٌ بِـالجُودِ مِنْـكَ وَلَـمْ يَكُـنْ ... لأَبِـي حَنِيْفَـةَ فِـي الأَنَـامِ سِـوَاكَا
فَعَسَـاكَ تَـشْفَعُ فِيـهِ عِنْـدَ حِسَابِهِ ... فَلَقَـدْ غَـدَا مُتَمَـسِّكاً بِعُرَاكَـا
فَلأَنْـتَ أَكْـرَمُ شَـافِعٍ وَمُـشَفَّعٍ ... وَمَـنِ التَجَـى بِحِمَـاكَ نَـالَ رِضَـاكَا
فَاجْعَـلْ قِـرَايَ شَـفَاعَةً لِـي فِـي غَـدٍ ... فَعَسَى أَرَى فِـي الْحَشْرِ تَحْتَ لِوَاكَا

وقال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني:

يَـا سَـيِّدَ الرُّسُـلِ الـذِي فَـاقَ الـوَرَى ... بَأْسـاً سَـمَا كُـلَّ الوُجُـودِ وَجُـودَا
هَـذِي ضَـرَاعَةُ مُـذْنِبٍ مُتَمَـسِّكٍ ... بِـوَلائِكُمْ مِـنْ يَـومِ كَـانَ وَلِيـدَا
يَرجُـو بِـكَ المحيَـا الـسَّعِيدَ وَبَعْثَـهُ ... بَعْـدَ الْمَمَـاتِ إِلَـى النَّعِـيمِ شَـهِيدَا

وأيضًا:

أَيَـا خَيْـرَ خَلْـقِ اللهِ دَعْـوَةُ مُـذْنِبٍ ... تَخَـوَّفَ مِـنْ نَـارِ الْجَحِـيْمِ تَوَقُّـدَا
لَـهُ سَـنَدٌ عَـالٍ بِمَـدْحِكَ نَيِّـرٌ ... وبَابُـكَ أمسَى مِنْـهُ أَسْـنَى وَأَسْـنَدَا

وقال الإمام جمال الدين يحيى الصرصري[30] رحمه الله تعالى:

وارْحَـمْ كَئِيْبـاً فِيـكَ يَقْـضِي نَحْبَـهُ ... أَسَـفاً عَلَيْـكَ وَمَـا انْقَـضَتْ أَوْطَـارُهُ

وأيضًا:

أَنْـتَ الْمَلِـيءُ بِكَـشْفِ ضُـرٍّ مخلـف ... ذِي عُـسْرَةٍ بِنَـدَى يَـدَيْكَ يَـسَارُهُ

وأيضًا:

نَادَيْتُـهُ بِـاللهِ يَـا مَـنْ أَسْـفَرَتْ ... عَـنْ بِـشْرِ وَجْـهِ نَجَاحِـهِ أَسْـفَارُهُ

وأيضًا:

يَـا حَبِيـبَ الـرَّحمنِ فِـي الخَلْـقِ يَا مَـنْ ... تَعْـرِفُ الأَرضُ فَـضْلَهُ وَالـسَّمَاءُ
يَـا كَـرِيمَ الآبَـاءِ ثُمَّـتَ زَادَتْ ... شَـرَفاً سَـامِياً بِـكَ الآبَـاءُ
أَنْـتَ ذُخْـرٌ لَنَـا وَعَـوْنٌ عَلَـى خَطْـ ... ـبِ زَمَـانٍ بِـهِ اللبِيـبُ يُـسَاءُ
فَـأَغِثْنِي وَكُـنْ لِـضَعْفِي مُجِيْـراً ... فِـي مَقَـامٍ تَخَافُـهُ الأَتْقِيَـاءُ

---

[30] الشيخ العلامة القدوة أبو زكريا يحيى بن يوسف بن يحيى الصرصري، كان حسان وقته ولد سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وحفظ الفقه واللغة ويقال أنه كان يحفظ صحاح الجوهري بكمالها وقد نظم في الفقه مختصر الخرقي وزوايد الكافي ونظم في العربية وفي فنون شتى وكان صالحا قدوة كثير التلاوة عظيم الاجتهاد صبورا قنوعا محبا لطريقة الفقراء ومخالطتهم وكان شديدا في السنة منحرفا على المخالفين لها وشعره مملوء بذكر أصول السنة ومدح أهلها وذم مخالفيها. شذرات الذهب (285/5) بتصرف.

وأيضًا:

فَاسْــأَلْ لِـــيَ الــــرَّحمنَ أَنْ يُمِيتَنِـــي ... غَيْــرَ مُغَيَّــرٍ إِذَا الوَقْــتُ انْقَـضَى
عَـــسَاهُ أَنْ يَغْفِـــرَ لِـــي خَطِيئَتِـــي ... بِفَـــضْلِهِ ذُو الْمَلَكُـــوتِ وَالغِنَـ

وأيضًا:

وَقُـلْ عُبَيْـدُكَ يَرْجُـو مِنْـكَ مَكْرُمَـةً ... رَجَـاءَ عَـافٍ لِوَعْـدٍ ظَـلَّ مُرْتَقِبَـا
يَــا فَــاتِحَ الْخَيْـرِ فِـي الـدُّنيا بِمَبْعَثِـهِ ... وَبِالـشَّفَاعَةِ فِـي الأُخْـرَى إِذَا انْتُـ

وأيضًا:

يَرجُـو النَّجَـاةَ بِفَـضْلِ جَاهِـكَ فِـي غَـدٍ ... فِـي مَوْقِـفٍ يَخْـشَى النـوى أَبْـرَارُهُ

وقال أيضًا:

فَانــزِلْ وَلُـذْ بِجَنَــابِ الْهَاشِـمِيِّ وَقُـلْ ... يَــا آلَ أَحْمَـدَ أَنْـتُمْ لِلرِّضَـا سَـبَبُ

وقال أيضًا:

يَــا مَــنْ أَتَتْــهُ مَفَــاتِيحُ الْكُنُــوزِ عَلَــى ... فَقْـرٍ فَجَـادَ بِهَـا زُهْـداً وَمَـا اكْتَرَثَـا
سَــلْ لِــيْ إِلَهَــكَ إِحْــسَاناً وَتَكْرِمَــةً ... إِذَا حَلَلْــتَ عَلَــى عِلاتِــي الجَـ

وقال أيضًا:

يَــا سَـيِّدَ البَـشَرِ الَّـذِيْ هُـوَ غَوْثُنَـا ... فِـيْ حَـالَتِي جَدبِ الزَّمَـانِ وَخَـصْبِهِ
زُرْنَــا صَــحَابَتَكَ الكِــرَامَ تَعَرُّضــاً ... لِنَنَـالَ مِـنْ فَـضْلٍ خَصَـصْتَهُمُ بِـ

وقال أيضًا:

يَــا رَسُــولَ الإِلَــهِ كُــن لِــي مُعِينــاً ... فِــي أُمُــورِي لَعَــلَّ قَلْبِــي يَــؤُوبُ
أَنْـــتَ سُـــؤْلِي وَبُغْيَتِـــي فَـــأَغِثْنِي ... ثَــارَ بَيْنِــي وَبَــيْنَ نَفْــسِيْ حُــرُوبُ
يَـــا إِلَهِـــي بِالهَاشِـــمِيِّ أَجِرنِـــي ... إِنَّنِـــي مُـــذْنِبٌ وَكُلِّـــي عُيُـــوبُ

وقال أيضًا:

أَشْــكُو إِلَيْــكَ رَسُــولَ اللهِ مَــا أَجِــدُ ... مِنَ الْخُطُـوبِ التِـي أَعْيَـا بِهَـا الْجَلَـ

وقال أيضًا:

يَـا مَـن لَـهُ الرُّعـبُ نَاصِـرٌ وَبِـهِ الأَمْـ ... ـنُ غَـداً حِـينَ يَكْثُـرُ الرُّعْـبُ
عَطْفــاً عَلَــى عَبْــدِكَ الْفَقِيــرِ وَمَــنْ ... دَعَـــاهُ مِنَّـــا إِلَـــيكُمُ الرَّغَـــبُ

وقال الإمام ابن دقيق العيد[31] رحمه الله:

---

(31) الإمام الفقيه ا افظ تقي الدين أبو الفتح مد بن علي بن وهب بن مطيع القش ي ا نفلوطي ولد شعبان سنة (٦٢٥هـ) وصنف شرح العمدة والإمام الأحكام والإ ام والاقتراح علوم ا ديث والأربع التـساعية وكان من أذكياء زمانه واسع العلم مد ا للسهر مكبا على الاشتغال ساكنا وقورا ورعا حافظا متقنا قل أن تـرى

أَنَــا ضَــيْفُكَ المــدعُو يَــومَ مَعَادِنَــا   المرتجــي فَاجْعَــلْ قِــرَايَ الكَــوثَرا

وقال شمس الدين النواجي[32] المتوفى سنة **895** رحمه الله:

يَــا رَسُــولَ الإِلَــهِ إِنِّــي غَرِيْــبٌ   فَــأَغِثْنِي يَــا مَلجَــأَ الغُرَبَــا
يَــا رَسُــولَ الإِلَــهِ إِنِّــي فَقِيْــرٌ   فَــأَعِنِّي يَــا مُنْجِــدَ الفُقَــرَا
يَــا رَسُــولَ الإِلَــهِ إِنِّــي ضَــعِيْفٌ   فَاشْــفِنِي أَنْــتَ مَقْــصَدٌ لِلــشِّفَا
يَــا رَسُــولَ الإِلَــهِ إِنْ لَــم تُغِثْنِــي   فَــإِلَى مَــنْ تَــرَى يَكُــونُ التِجَــا

وقال الإمام عبد الرحيم البرعي اليمني:

شَــفِيعَ المــذنِبِينَ أَقِــلْ عِثَــارِي   فَإِنَّــكَ خَيْــرُ مَــنْ سَــمِعَ النِّــدَا
دَعوتُــكَ بَعْــدَمَا عَظُمَــتْ ذُنُــوبِي   وَضَــاعَ العُمْــرُ فَاسْــتَجِبِ الــدُّعَا

وقال أيضًا:

أَجِــبْ يَــابنَ العَوَاتِــكِ صَــوتَ عَبْــدٍ   أَسِــيرَ الــذَّنبِ فِيــهِ لَــكَ الْــوَلا

وقال الإمام تقي الدين السبكي رحمه الله:

أَتَيْــتُ وَشَــكلِي ذُو مُقَــدِّمَتَيْنِ مِــنْ   ذُنُــوبٍ وَتَــسآلٍ فَجُــدْ بِالنَّتِيجَــ
وَإِنِّــي ظَلَمْــتُ الــنَّفْسَ كُــلَّ ظُلامَــةٍ   وَجِئتُــكَ فَاسْــتَغْفِرْ لِــنَفْسٍ ظَلُومَــ
وَكُــنْ لِــي إِذَا مَــا فَــرَّ مِنِّــي وَالِــدِي   وَأُمِّــي وَأَوْلادِي وَأَهْلِــي وَإِخْــوَ
وَكُــنْ بِهِــمُ بَــرًّا فَــإِنَّ جَمِــيْعَهُمْ   لِبِــرِّكَ مُحْتَــاجُونَ فِــي كُــلِّ بُرْهَــ

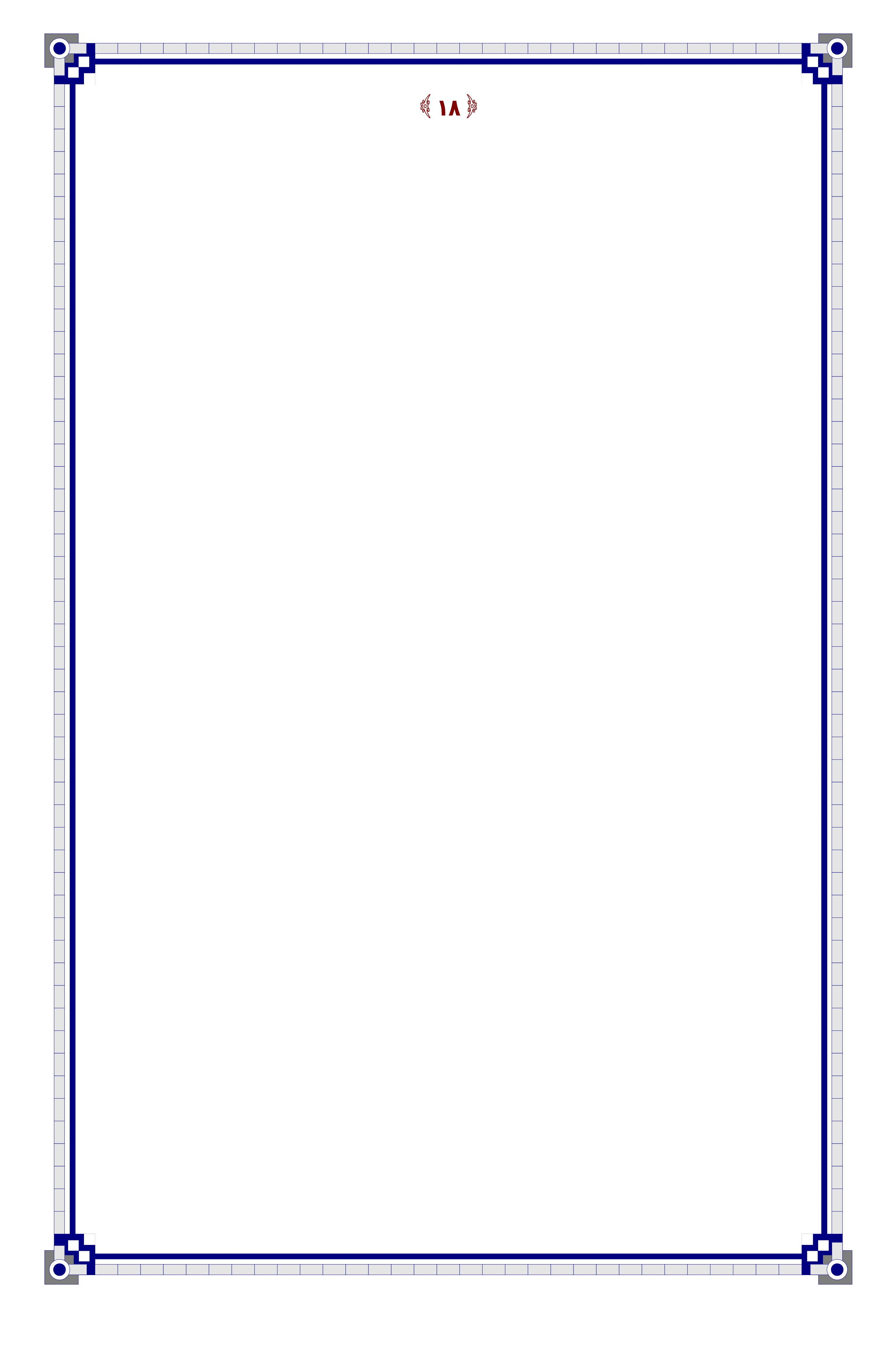
وقال الشيخ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم القيراطي المصري[33]:

يَــا رَسُــولَ الإِلَــهِ يَــا سَــيِّدَ الرُّسْــ   ــلِ إِلَــى بَابِــكَ الرَّحِيــبِ التِجَــا
يَــا رَسُــولَ الإِلَــهِ حُبُّــكَ ذُخْــرِي   حِــينَ تَفْنَــى ذَخَــائِرُ الأَمْلِيَــا
يَــا رَسُــولَ الإِلَــهِ أَنْــتَ مَــلاذِي   حِــينَ تَخْــشَى مِــنْ حَوبِهَــا حَوبَــا
يَــا نَبِــيَّ الْهُــدَى بِقَلْبِــي دَاءٌ   عَــزَّ مِنْــهُ إِنْ لَــمْ تُغِثْنِــي دَوَائِــ

العيون مثله وله يد طو الأصول وا عقول مات صفر سنة (٧٠٢هـ ـ). طبقـات ا فـاظ ج١/ص٥١٦ بتصرف.

(32) س الدين مد بن حسن بن علي النواجي الشافعي العلامة الأديب. ولد بالقاهرة بعد سنة (٧٨٥هـ) تقريبا قرأ ا القرآن وتلا ببعض السبع على الشيخ أم حاج والزراتي وغ ه وأخذ الفقه عن ال ماوي والبيجوري وغ ا والنحو وغ ه من ا عقول عن الشيخ بن اعة والبساطي والعجيمي، ومن مصنفاته حاشية على التوضيح وبعض حاشية على ا اربردى وكتاب تأهيل الغريب وخلع العذار وصف العذار وصحائف ا سنات. شذرات الذهب ج٧/ص٢٩٥ بتصرف.

(33) إبراهيم بن عبد ا بن مد بن عسكر القا اطي، برهان الدين ء الديار ا صرية ولد صفر سنة ٧٢٦ و ع على الإربلي وابن السراج والشتو وابن شاهد ا يش وغ هم واشتغل بالفقه وأخذ عن اعة من فقهاء عصره ومهر الآداب وقال الشعر ففاق أهل زمانه وسلك طريق الشيخ ال الدين ابن نباتـة وتتلمذ له وراسله وكان له اختصاص بالسبكي بأولاده وله فيهم مدائح ومراثي وبينهم مراسلات و ع ديوان شعره ونثره وعمل له خطبة حسنة وكان جاور كة وحدث به فيها ومات ا شهر ربيع الآخر سنة ٧٨١ أخذ عنه شيخ ا فاظ أبو الفضل العراقي وا افظ ابن ظه ة وا افظ و الدين أبو زرعة وابـن ا زري والشيخ ا رجا وآخرون. الدرر الكامنة أعيان ا ائة الثامنة ج١/ص٣٢ بتصرف.



خاتمة

هكذا ترى أن الاستغاثة به ﷺ وقعت:

قبل خلقه وذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [34].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كانت أهل خيبر تقاتل غطفان كلما التقوا هزمت غطفان يهود. فعاذت يهود بهذا الدعاء: اللهم إنا نسألك بحق النبي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم فكانوا إذا التقوا ودعوا بهذا الدعاء فتهزم يهود غطفان فلما بعث النبي ﷺ كفروا به فأنزل الله عز وجل: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [35]-أي يدعون بك يا محمد إلى قوله: ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ » [36].

ووجه الدلالة في الخبر أن الله سبحانه تعالى أقرهم على توسلهم بالنبي ﷺ قبل وجوده وإنما ذمهم على جحودهم بعد ظهوره ﷺ.

ثم في حياته والأدلة من السنة متضافرة وبعد مماته وقد فعلها الصحابة سواء من طلب الاستسقاء أو فعل الصحابة في حربهم لمسيلمة في اليمامة .

وبادئ ذي بدء أننا قد أوضحنا أن لفظ الاستغاثة بغير الله قد ورد في القرآن وأمام نبي من أولى العزم ولم ينه عنه ولم يقرعه الله على ذلك .

فكان على من يتشدقون بتكفير المسلمين واتهامهم بالشرك والكفر:

أن يتثبتوا من حقيقة قصد من يتلفظ بلفظ الاستغاثة أو الشفاعة أو الاستعانة بالنبي أو الولي أو الصالح من أهل التوحيد.

وأن يفرقوا بين مدلولات الألفاظ إذا أطلقت في حق المولى سبحانه وتعالى فهي الطلب والدعاء في جلب نفع أو دفع ضر ابتداء و استقلالا منه سبحانه وتعالى فهو القادر عليه ووليه وأما من غيره من الخلق فليست أكثر من طلب الدعاء والتسبب ولا يغل قلب المؤمن على غير هذا.

أسأل الله أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(34) البقرة: من الآية٨٩.

(35) البقرة: من الآية٨٩.

(36) البقرة: من الآية٨٩.

صدر من هذه السلسلة:

- مقدمة ومدخل عام للمفاهيم.
- كلمة هادئة في **الحياة البرزخية** للدكتور عمر عبدالله كامل
- كلمة هادئة في **التوسل** للدكتور عمر عبدالله كامل
- كلمة هادئة في **الاستغاثة** للدكتور عمر عبدالله كامل
- كلمة هادئة في **أحكام القبور** للدكتور عمر عبدالله كامل
- كلمة هادئة في **الزيارة وشد الرحال** للدكتور عمر عبدالله كامل
- كلمة هادئة في **التبرك** للدكتور عمر عبدالله كامل
- كلمة هادئة في **البدعة** للدكتور عمر عبدالله كامل
- **الترك لا ينتج حكمًا** للشريف عبدالله بن فرّاج العبدلي
- كلمة هادئة في **الاحتفال بالمولد** للدكتور عمر عبدالله كامل
- كلمة هادئة في **حديث لا تطروني** للدكتور عمر عبدالله كامل
- كلمة هادئة في **حديث الجارية** للدكتور عمر عبدالله كامل

...